دور البربر في الأندلس منذ إعلان الخلافة حتى نهاية عصر الخليفة الحكم

(316 - 366 هـ/929 -976م)

د . عطيث إسماعيل إبراهيم*

مقدمة: التأصيل التاريخي لمصطلح (البربر)

اختلف المؤرخون النسّابون اختلافاً كبيراً حول نشأة البربر أو نسبهم، وإذا حاولنا رصد الآراء التي ناقشت أحوال البربر، نجد في طليعة هذه الآراء ما ذكره ابن خلدون، الذي أفرد الجزء السادس من كتابه (العبر)؛ ليُفَصِّل فيه الحديث عن البربر، ونسبهم، وقبائلهم، وبطونهم، وأفخاذهم، ويليه (ابن حزم) في (جمهرة أنساب العرب)، وتابعهما المؤرخ المجهول في كتابه القيِّم (مفاخر البربر).

بدأ ابن خلدون[1] حديثه عن البربر مناقشاً أصل التسمية، فوقف على مصطلح (البربر) قبل الدخول في نسبهم وقبائلهم، وذكر أن تسمية البربر بهذا الاسم، ترجع إلى أحد ملوك التبابعة عندما غزا بلاد المغرب وإفريقية، ورأى هذا

---

* كلية الآداب والعلوم، جامعة بنغازي.

1- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط2 1971م، ج1، ص90.

الجيل من الأعاجم، وسمع رطانتهم، فتعجب من ذلك وقال: «ما أكثر بربرتكم» فسمُّوا بـ (البربر) وحاول ابن خلدون ان يقدم تعريفا لما تعارف عليه العرب حول كلمة البربر فقال «البربر بلسان العرب تطلق على الأصوات المختلطة غير المفهومة»[2] وهو في إطار تعريفاته السابقة يطلق على البربر مصطلح (أمة البربر)؛ وذلك لاجتماعهم على لغة واحدة وتشعبهم من أصول متعارفة، ولما لهم من قومية تمثلت في انتمائهم لأرضهم التي نشئوا عليها وتمسكوا بها، على الرغم الهجرات الكثيرة التي حدثت في تاريخهم الاجتماعي.

وقام المقدسي[3] بمحاولة لجمع آراء النسّابين الذين تحدّثوا عن نسب البربر؛ فذكر أن بعض النسّابين قال: إن البربر يرجعون في الأصل إلى أمة العرب، ثم أُختُلِفَ في ذلك، وقيل: إن البربر أوزاع من اليمن، وقيل: من غسّان، وقيل: من ولد نعمان بن حمير بن سبأ، الذي بعث سرية من بنيه إلى المغرب ليعمروه، فنزلوه وتناسلوا به، وانتهى بعض النسّابين إلى أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق.

وقد خالف المؤلف المجهول[4] الذي ناقش (مفاخر البربر) هذه الآراء التي اختلفت في تأصيل نسب البربر، وانتقد معظمها بقوله: «إن ما ذكره النسّابون في أن البربر من ولد حام بن نوح عليه السلام، والذين ادّعوا منهم أن البربر من اليمن، أو من حِمْير، أو من نسبهم إلى برٍّ بن قيس عيلان، هذا كله باطل لاشك في بطلانه، وما علم النسّابون لقيس عيلان ابناً اسمه (برَّ) أصلاً، ولا كان لحِمْير طريق لبلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن».

2- المصدر السابق، ج6، ص 89

3- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، طبعة ليدن 1906، ص232

4- مؤلف مجهول، نبذ تأريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى منتخبة من المجموع المسمى بكتاب (مفاخر البربر)، لمؤرخ مجهول الاسم ألفه سنة 712هـ، نشر وتصحيح: أ. ليفي بروفنسال، المطبعة الجديدة لصاحبها ف. مونشو. رباط الفتح، 1352هـ/ 1934م. ص65

وقد اتفق (ابن حزم)[5] مع (المؤرخ المجهول) في ضرورة عدم التسليم بأي من آراء النسّابين السابقة التي يحمل اختلافها دليل احتمال كذبها.

من خلال حديث المؤرخين النسّابين عن أصل نشأة البربر، على الرغم من كثرة الاختلاف أو الاتفاق حول منشأهم يمكن القول: إن البربر قد امتدت جذورهم الأولى في إقليم بلاد المغرب في الشمال الإفريقي، ولم يهاجروا إليه من المواطن الكثيرة، التي حاول المؤرخون إثبات نسبهم إليها، فالعرب الفاتحون عندما نزلوا بلاد المغرب، لم يجدوا غير القبائل البربرية دون الأجناس البشرية الأخرى، ولم يجدوا جذوراً لأهل الموطن الأصليين الذين سبقوا البربر في استيطانه، وتواتر ذلك في أخبار فتوحات المغرب وإفريقية.

وما ذكره (ابن حوقل)[6] يؤيد هذا الرأي عندما تعرض لتعريف البربر، فقال: إنهم سكان المغرب، وهم قبائل لا يُحصى عددهم، ولا يوقف على آخرهم؛ لكثرة بطونهم مع تشعب أفخاذهم، وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري، مما يدل على تعمق الجذور البربرية في إقليم بلاد المغرب.

وقد انقسم البربر إلى قبائل كثيرة وشعوب جمّة، انحدرت من أصلين أساسيين، هما: (البرانس والبَتْر)[7] والبرانس: هم بنو بربر بن برنس بن سفكو بن وانوخ بن خانوخ بن مازيخ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وتكونت قبائل البرانس من: المصامدة وغمارة وأوربة وكتامة وأوريغة وأزداجة وعجيسة، ولمطة، وهسكورة، وجزولة، ومسطاسة، وهوارة، ولكل هذه القبائل شعوب كثيرة، وأفخاذ وعمائر غزيرة[8].

وهذا التقسيم لقبائل البربر هو الغالب على معظم كتب التاريخ، التي

5- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالث، دار المعارف، مصر 1971م، 495

6- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، مأخوذة من كتاب (المسالك والممالك)، مكتبة الحياة، بيروت 1979م، ص97

7- العبر، ج1، ص90

8- ابن حزم جمهرة انساب العرب، ص495

تحدثت عن أقسام البربر، فكثير من المؤرخين، ذكروا هذه القبائل زيادة أو نقصاناً، وذلك ما لاحظه (المؤرخ المجهول)[9] وابن خلدون[10] اللذان ذكرا في عبارة تكاد تتفق ألفاظها، عند انتهائهما من تقسيم القبائل البربرية فقالا: «وهذا باب لا يُطمع في استيفائه، ولا سبيل إلى الإحاطة به».

أولاً: بداية تواجد البربر في الحياة السياسية في الأندلس

وكان لهذه القبائل البربرية الدور الأكبر في بواكير الفتوحات الإسلامية في الأندلس، والتي بدأت في عام [92هـ/ 711م][11] وشارك البربر بنصيب وافر في جيوش الفتح التي قادها طارق بن زياد لفتح الأندلس فذكر الحِمْيري[12] أن تعداد البربر الذين شاركوا طارقاً في عبور البحر إلى الأندلس وصل إلى سبعة آلاف، في حين حدّد هذا العدد (المؤلف المجهول)[13] باثني عشر ألفاً، ولم يتفق (ابن خلدون)[14] مع أحدهما، فيذكر أن جيش الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس لم يضم من العناصر العربية إلاّ ثلاثمائة، في حين شارك البربر بعشرة آلاف بربري، وبهم تمت فتوحات إسبانيا.

وعلى الرغم من كثرة الاختلاف حول عدد الجنود البربر المشاركين في فتح إسبانيا إلاّ أن أحداً لا ينكر دور البربر الكبير في وصول الإسلام واستقراره هناك، وهذا إجماع من المؤرخين كافة لا ينكره أحدهم. وبعد إتمام الفتح الإسلامي توافدت الهجرات البربرية إلى الأندلس.

بعد استقرار الفتح الإسلامي لإسبانيا توالت الهجرات البربرية اليها، فقد اتفقت الروايات التاريخية على أن هجرات البربر إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، في أعقاب الفتح كانت أسرع وأشد كثافة من هجرات العرب أنفسهم، وذلك لقرب

9- مفاخر البربر، ص 96
10- العبر، ج6، ص106
11- مؤلف مجهول، اخبار مجموعة، طبع مدينة مجريط، 1967، ص6
12- صفة جزيرة الاندلس، نشر ليفى بروفنسال، ص9
13- اخبار مجموعة، ص7
14- العبر، ج4، 117

بلاد المغرب من الأندلس، وهي مركز القبائل البربرية، وسرعة انتقالهم عبر البحر، أو لأنهم كانت تحدوهم الآمال العريضة في تبديل أحوالهم المعيشية المتواضعة التي كانوا يعانون منها في بلادهم الفقيرة، يقول (الرازي) بنقل (المقري)[15] « وتسامع الناس من أهل بلد العدوة بالفتح على طارق بالأندلس وسعة المغانم فيها، فأقبلوا نحوه من كل جهة وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب، فلحقوا بطارق ولم يستقر البربر على الإسلام إلا بعد نزولهم إلى الأندلس، وتحملوا مع العرب عبء الجهاد والغزو في بلاد النصارى الإسبان».

لاشك أن تلك المشاركة القوية للبربر في فتح الأندلس جعلتهم في مقدمة القوى السياسية التي تتطلع إلى دور يناسبها في تلك البلاد البعيدة عن المشرق الإسلامي، وقد ظهر دور البربر في سياسة بني أمية في الأندلس في وقت مبكر، فمنذ أن بدأت الدعوة الأموية في النشأة والظهور، كما يقول ابن عذارى[16] وذلك بعبور عبد الرحمن بن معاوية الملقب بـ(الداخل) سنة [138هـ/ 756م]، فقد التف البربر بمختلف طوائفهم حول الأمير الأموي؛ لانتسابه إلى البربر من ناحية أمه، التي ترجع إلى قبيلة (نفزة) مما دفع البربر إلى مساعدة عبد الرحمن الداخل طوال السنوات الأربع، التي قضاها في بلاد المغرب قبل عبوره إلى الأندلس.

واستمر دور البربر مع أمراء البيت الأموي في الأندلس، مشاركين في الأحداث السياسية جميعها، حتى وصل الحال بهم إلى عصر الخلافة الأموية؛ ليجد البربر أنفسهم أمام حكومة أموية قوية حددت دورهم ومهامهم المنوطة بهم داخل الدولة، إلى جانب عناصر السكان الأخرى، التي اقتسمت معهم المنافسة السياسية والسيطرة على الوظائف العليا في الدولة، لا سيما عنصر العبيد الصقالبة، الذين اجتلبهم الخليفة عبد الرحمن الناصر؛ ليصنع بواسطتهم التوازن السياسي مع

15- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1968م، ج1، ص121

16- ابن عذارى: أبو عبيد الله محمد بن عذارى المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1983م.

- Charles Diehl, Georges Marcais: le Monde oriental, T.III, P.407.

العنصر العربي والبربري.

لكن بالرغم من ذلك فقد ظل البربر عنصراً هاماً وحيويا في المجتمع الأندلسي، بل أصبح البربر العنصر الذي بات مرشحاً لمنافسة العرب في الأندلس، فكما ذكرنا منذ الفتح الإسلامي والأندلس تشهد موجات متعددة من العنصر البربري، تتوافد عليه من الساحل الإفريقي المغربي المتاخم لإسبانيا الإسلامية؛ رغبة في الجهاد أو في الحياة الرغدة، ومن الملاحظ أن البربر الفاتحين قد اندمجوا مع العنصر العربي؛ ليكونوا معاً المجتمع الأندلسي، بالإضافة لبعض العناصر الأخرى، مثل الصقالبة، ومن مظاهر هذا الاندماج نبوغ كثير من البربر في مجال الفكر والأدب، الأمر الذي دفع الخليفة عبد الرحمن الناصر أن يجد فيهم بديلاً عن العنصر العربي في كثير من الأحيان، خاصة أن الخليفة الأندلسي كان يرى الصراعات القبلية العربية، تمثل خطراً كبيراً على طموحاته السياسية والعسكرية في الأندلس، فاصطنع المخلصين من البربر وأخذ يرفعهم على بقية العناصر الأخرى تدريجياً في شتى مجالات الخلافة خاصة المجالات العسكرية.

وقد تدرب البربر على شتى شؤون الحكم والسياسة طوال فترة حكم الإمارة الأندلسية؛ مما جعلهم العنصر الأكبر تأثيراً في سياسة الأندلس طوال حكم الخلفاء الأمويين بعد ذلك، لاسيما عصر القوة والازدهار عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الخليفة الحكم المستنصر.

ثانياً: اعتماد الخليفة عبد الرحمن الناصر على البربر في سياسة الدولة

حاول الخلفاء الأمويون في الأندلس الاستعانة بعناصر غير عربية؛ ليتخلصوا من نفوذ الأرستقراطية العربية التي أدت صراعاتها إلى ضعف الدولة، وانهيار مواردها، وقاموا بتدريبهم على مختلف شؤون الملك والسياسة؛ تمهيداً لكبح جماح العنصر العربي، والقضاء على قوته السياسية، وكان من أبرز هذه العناصر التي اعتمد عليها الخلفاء الأمويون في شتى شئون الحياة السياسية والعسكرية (البربر).

وهذه سياسة أقرّها الخليفة عبد الرحمن الناصر [300 - 350هـ / 912 -

961م] منذ أن تولى الإمارة الأموية بعد جده الأمير عبد الله[17]). ولاشك أن تلك السياسة جاءت على حساب الأرستقراطية العربية، التي أدّى نفوذها في الأندلس إلى إشعال روح العصبية العرقية طوال فترات الوجود الأموي' ومن ثمّ رأى عبد الرحمن الثالث ضرورة إضعاف النفوذ العربي، فحاول أن يجعل سلطة البلاد كلها في يده بواسطة استخدام العناصر غير العربية[18]، فقبل أن يتولى عبد الرحمن الثالث إمارة الأندلس، كانت معظم شئون البلاد تتحكم فيها القبائل والأرستقراطية العربية، وكانت المعارك تضطرم لظاها باستمرار بين السلطة المركزية في الإمارة الأموية وبين الخارجين عليها من القبائل العربية، التي كانت تحاول دائماً أن تقيم سياستها واستقلالها في الثغور والمدن، على أساس الاستقلال المحلي عن الإمارة الأموية وقصر الحكم في قرطبة[19].

استمرت هذه المنافسة السياسية زمناً طويلاً، منذ زمن الأمير عبد الرحمن الداخل، وكانت سبباً مباشراً في ضعف سيطرة الأمراء الأمويين على الكثير من الولايات والكور الأندلسية، حتى وصلت الإمارة الأموية إلى عبد الرحمن الثالث، الذي شدّد على مطاردة العصبية العربية وتحطيمها، معتمداً على عناصر أجنبية، يكون ولاؤها للدولة والحاكم، وليس للعصبية والقبلية[20].

وقد حدّدت الخلافة الأموية منهجها، الذي يرمي إلى تحويل إدارة البلاد إلى حكومة تميل إلى المركزية السياسية، يهدف الخلفاء من ورائها إلى جمع معظم سلطات الأقاليم في أيديهم؛ منعاً لحركات المعارضة التي طال أمدها؛ بسبب نفوذ القبائل العربية المتزايد في سياسة الدولة.

وقد حدّد الخليفة عبد الرحمن الناصر مضمون سياسته المركزية في حكم الخلافة صراحة أمام مبعوث الملك أوتو الثاني (otto II) إمبراطور ألمانيا، الذي يدعى (يوحنا)، وذلك عندما أخذ الخليفة الأموي في نقد سياسة إمبراطور ألمانيا،

17- رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة: حسن حبشي، ج2، ص37
18- المرجع السابق ج2 ص 37.
19- دائرة المعارف الإسلامية: مادة [صقالبة] ج4 ص 490
20- دوزى، المسلمون في الاندلس، ج2 ص37

فقال: إنني أعتقد أن ملككم حازق مفكر، غير أنني أرى في سياسته ما لا يرضيني؛ إذ يترك بعض المسائل لأتباعه يعالجونها بأنفسهم، بدلاً من أن يأخذ مقاليد الأمور جميعها في يده، ثم إنه يترك لهم ولايته؛ ظناً منه أنه بذلك يستميلهم إليه، وتلك هفوة جسيمة منه، فليست للرعاية التي يبذلها نحو الأشراف من عاقبة، غير العمل على زيادة تسلطهم ودفعهم إلى التمرد[21].

كانت هذه الأفكار السياسية لخلفاء بني أمية في الأندلس، إشارة واضحة لمدى الدور الذي ينتظر العناصر الأجنبية، تبعاً لتلك السياسة الأموية الجديدة، لاسيّما عنصر البربر، على اعتبار أنه العنصر الثاني بعد العنصر العربي في الأندلس، ومن ثمّ كان تأثيره أكثر خطورة على مجريات الأحداث السياسية عن بقية العناصر غير العربية في عصر الخلافة[22].

قام عنصر البربر في عصر خلافة بني أمية في الأندلس بدور عظيم؛ حيث شاركوا الخلفاء سياسة الدولة سواء في النواحي السياسية أو العسكرية، في الحملات الأموية داخل الأندلس، أو على الحدود مع الممالك المسيحية في الشمال الإسباني[23].

لقد تناول ابن حيان[24] دور البربر في سياسة الخلافة الأموية في الأندلس، منذ أن أعلن الخليفة عبد الرحمن الثالث الخلافة سنة [316هـ/ 929م]، وذكر أن الناصر لم يسلم البربر شئون الخلافة في بداية إعلانها، فقد أوجس منهم خيفة؛ لما أحدثوه في حكم أسلافه الأمويين من ثورات وفتن[25]، معترضين على العنصر

21- ابن حيان: المقتبس، نشر شالميتا ج5 ص 255.

- Louis Viardot: Histoire des Arapes et Mores d'Espagne, T.II,P.30

22- المقري: نفح الطيب، ج1 ص 333. د. السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة 1984م ج1 ص 81

23- المقتبس: نشر شالميتا، ج5 ص 55.

- Hady Roger idris: la Berebrie orintale sous les zerides, P.13.

24- المقتبس: نشر الحجي، ص 190.

25- وقد أسند د. حسن إبراهيم حسن، الثورات والفتن التي ظلت طيلة عصر أمراء بني أمية، لاسيما الأمير المنذر والأمير محمد أولاد الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى البربر، الذين =

العربي، أو مخالفين لسياسة الأمراء الأمويين[26].

وقد وصف ابن حيان[27] سياسة عبد الرحمن الناصر، التي حددت أدوار البربر في دولته بقوله «بعدما جاز الناصر بلد العدوة، فحازها دون من كان قبله من آبائه ... معتلياً على من جنح من أمرائها، منطوياً على الحذر من بوادرهم، معتقداً قلاهم والأزورار عنهم، مفتخراً على من أظهر مكاتبته منهم، وموالاته على بعد احتراس غير مستدع لهم إلى العبور عليه، ولا مستكثر منهم، مقتنعاً برجال أندلسه، وصنائع سلفه، مقتصراً بهم على أدنى الملاحق، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في أشق الخدمة».

وقد اتخذ الخليفة الحكم المستنصر نفس السياسة التي سار عليها الخليفة الناصر مع عنصر البربر، فلم يأمن جانبهم في بداية حكمه، خاصة في الأطراف البعيدة، التي يمكن للبربر الانفراد بها عن جسد الخلافة، مثل ولاية سبتة في العَدْوة المغربية، مما دفع المستنصر إلى ضرورة إحكام سيطرته عليها وإخضاع أهلها؛ ليأمن تقلبات البربر وثوراتهم بها، وظلّ البربر فترة طويلة في خلافة الحكم المستنصر لا يلعبون دوراً هاماً، ولا ينالون حظوة خاصة، مكتفياً باستخدام أصفياء منهم ممن قلدهم أبوه الناصر.

وقد اتفق المقدسي[28] مع ابن حيان[29] في وصفه لمدى حذر الخلفاء الأمويين بالأندلس من اصطناع عنصر البربر، فذكر أن البربر هم شرار أجناس الخدم.

حتى إن الخليفة الحكم الثاني منع جنوده وفرسانه عن التشبه بشيء من

=

حاولوا الاستقلال بولايات غرب وجنوب البرتغال في أواخر القرن الثالث، وكان أشد هؤلاء البربر خطراً على ساسة أمراء بني أمية في الأندلس، أسرة (بني ذي النون)، تاريخ الإسلام ج2 ص 401.

26- ابن حيان: المقتبس، نشر الحجي ص 191

27- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص 232.

28- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص232.

29- ابن حيان: المقتبس: نشر الحجي، ص 191

أشياء البرابرة، في شكلهم أو ملابسهم أو مراكبهم، فحينما وقعت عينه يوماً وهو في موكبه بمدينة الزهراء على غلام له يركب فرساً بسرج عدوي الصنعة أنكر عليه المستنصر ذلك إنكاراً شديداً، وأزورّ عنه، وعاتب في ذلك الحاجب جعفراً المصحفي، منكراً عليه غفلته، وتقدم إليه بإغلاظ وعقاب، حتى تم إحراق السرج[30].

هكذا انتشر شعور مقت العنصر البربري عند الكثير من طوائف الأندلس حتى اتفق العامة على التقليل من شأنهم، كلما سنحت لهم الفرصة بذلك.

أثّرت هذه العلاقة السيئة التي اتبعها خلفاء بني أمية في الأندلس في بداية عهدهم مع البربر، على الحالة السياسية والاستقرار الداخلي للبلاد؛ فقد اتخذ البربر مواقف معادية للخلافة ومصالحها؛ حيث تحالفوا مع الكثيرين من الخارجين على الحكام الأمويين، أو على العمال التابعين لهم في الولايات البعيدة' فقد أيّدوا بني محمد الحسينيين بأرض العدوة المغربية، ولاقى الخليفة الحكم المستنصر من هذا التحالف العنت الكثير[31]، الأمر الذي جعل إدارة الخلافة الأموية في الأندلس لا تستمر في تجاهلها لعنصر البربر، خاصة وأن الظروف السياسية إبَّان حكم عبد الرحمن الناصر، كانت تفرض عليه الاستفادة من كل العناصر الأجنبية في الأندلس' فقد وجد الناصر نفسه مضطراً لمحاربة الخارجين في عدة جهات، بالإضافة إلى مواجهة الخطر الفاطمي في العدوة المغربية[32].

أدرك عبد الرحمن الناصر أن الصراع مع الشيعة الفاطمية، لابد وأن يُحسم على أرض المغرب بعيداً عن الأندلس، ومن ثمّ فطنت الحكومة الأموية إلى الدور الخطير الذي يمثله البربر في مجريات الأحداث السياسية في تلك الفترة[33].

30- ابن حيان: المقتبس، نشر شالميتا، ج5 ص 266، 267.

31- د. سعد زغلول عبد الحميد: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى 1995م، منشأة دار المعارف. ص 150.

32 -Hady Roger Idris: la Berbere orientale sous les zirides, P. 12. Mrs. Jonathan foster: History of the dominion of the Arabes in spain, T. II, P.407

33- نفس المرجع السابق، ص407

منذ ذلك الحين اختلفت المشاركات السياسية التي انفرد بها البربر بجانب الخلفاء الأمويين في الأندلس، فشاركوا في تشكيل الجيش، ومثلوا أغلب أجناده وفرقه، وأجابوا عبد الرحمن الناصر، عندما أظهر دعوته لهم في العبور من العدوة المغربية إلى الأندلس، فانحازت إليه القبائل البربرية، يستألفهم ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية منهم، مسانداً لمن والاه منهم بالمال والرجال، يقول المؤلف المجهول[34]: فاستمال الناصر منهم خلقاً كثيراً، خاصة من زناتة، وقد سهّل تلك المهمة على الحكومة الأموية أن الكثيرين من البربر كانوا يحملون إلى جانب أصلهم البربري الولاء الأموي، مثل: بني الليث من زناتة، وبني الخروبي من موالي الوليد ابن عبد الملك، وبني وانسوس من مكناسة، موالي عبد العزيز بن مروان.

ومن الملاحظ أن الخلافة الأموية حاولت استخدام البربر، ليس فقط لضمان استقرار الأحوال السياسية في العدوة المغربية -والذي يمثل البربر المحرك الأساسي لها- وإنما لضمان عدم إثارة القلاقل من البربر المقيمين في الأندلس؛ عصبية لقبائلهم الأصليين في بلاد المغرب.

وفي أولى خطواتها لجذب قبائل البربر إلى الأندلس والولاء الأموي، قامت الخلافة الأموية بجذب قادة البربر، خاصة قادة زناتة؛ لما لهذه القبيلة من النفوذ، لاسيّما في إقليم المغرب الأوسط، فتحالف عبد الرحمن الناصر مع محمد بن خزر قائد[35] الذي بادر بإرسال كتاب الطاعة للخليفة الناصر، الذي جاء في نصه: «والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم على وجه الأرض أحداً أعرف بما أوجب الله لك مني؛ لأني ما قمت بدعوتك إلا تقرباً إلى الله تعالى، وتوصلاً إلى قتال الكفار بحقها وصدقها، فأطرحت الهوادة وآثرت الحق، وهويت بنفسي إلى أمير المؤمنين بنيّة صادقة، وبصيرة نافذة، وبرئت من الناس إلاّ منه، ورجوت أن ينصرني الله تعالى به وعلى يديه، وأن ينظر في أمري وأمر المسلمين من أهل إفريقية، حتى يكشف الله تعالى عنهم ما هم فيه من البلاء والردة، وأن يعزّنا الله معشر زناتة بهذه الدعوة المنصورة؛ حتى ترفعنا على جميع الناس بها، فنكون أولياء دعوتك

34- المؤلف المجهول: مفاخر البربر ص 79

35- ابن حيان: المقتبس، نشر شالميتا، ج5 ص 266، 267.

وأنصار دولتك، فإنك يا أمير المؤمنين مولى كل بربري على الأرض ...»[36].

كان هذا الكتاب بمثابة عقد ولاء بين البربر الزناتيين والخليفة عبد الرحمن الناصر، أخذ الزناتيون بموجبه مقاومة النفوذ الفاطمي، ووقف محاولتهم التي لم تهدأ في السيطرة على بلاد المغرب الأوسط[37].

كان نتيجة التعاون الذي أبداه البربر مع الخلافة الأموية في الأندلس، أن غزا عبد الرحمن الناصر مدينة مَلِيْلَة سنة [314هـ/ 927م]، وسيطر من خلالها على مدينة سَبْتَة أهم قواعد المغرب[38]، وأرسل الناصر كتاباً إلى قادة البربر في العدوة المغربية عبّر فيه عن رضاه عن إنجازاتهم لخدمة الخلافة، وخصّ منهم محمد بن خزر الزناتي جاء فيه: « ... وقد صرت عند أمير المؤمنين بخالص المودة وصادق الطاعة، معدوداً في عدده الذين يُعتَمد عليهم، وأنصاره الذين يُتَورَّك في المهمات على نهضتهم، فأنت بأخصّ المنازل عنده في الاستعداد بك، والرجاء لحميد مقامك، وحسن نظرك وتدبيرك فيما يحركك أمير المؤمنين وينهضك نحوه، ويجعلك قائده في جميع المغرب، قائماً باسمه ناهضاً بدعوته، معيناً على إحياء الدين، وإماتة الفاسقين ...».

وسرعان ما توافدت القبائل البربرية إلى البلاط الأموي، معلنة طاعة الخليفة الناصر، مثل قبائل كتامة ومغراوة وأمراء الأدارسة وزناتة وأخذت العناصر البربرية طريقها إلى الوظائف القيادية في الجيش الأموي، لمّا رأى الخليفة الناصر من إخلاصهم، ورغبتهم في الانضمام إليه، حتى قال ابن عذارى[39]: وطاعت له البرابرة في جميع نواحيها، واعتصموا بحبله ولاذوا بفضله وعدله[40].

لم يسكت الفاطميون تجاه تدخل الأمويين في بلاد المغرب؛ فحاولوا وقف الهجمات الأموية على بلاد المغرب الأقصى، وأغاروا على منطقة ناكور، التي

36- دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2 ص 30.
37- ابن خلدون: العبر، ج6 ص 43. دوزي: المسلمون في الأندلس، ج2 ص 30.
38- ابن حيان: المقتبس، نشر شالميتا ج5 ص 310.
39- البيان المغرب، ج2 ص 224.
40- نفس المصدر السابق، ج5 ص 307.

يسيطر عليها صالح بن سعيد الموالي للخلافة الأموية في الأندلس[41].

وقد تزعم مقاومة النفوذ الفاطمي، ومحاولتهم المتكررة في الإغارة على مناطق البربر الموالية لبني أمية، أمير مكناسة البربري (موسى بن أبي العافية)، وهزم الفاطميين في مجموعة معارك سنة [321هـ/ 933م]، وأعلن أمير مكناسة تأييده لسياسة عبد الرحمن الناصر، وخلعه لطاعة الفاطميين.

وأرسل موسى بن أبي العافية كتاب الطاعة إلى البلاط الأموي في قرطبة، ذكر فيه: « ... وأما هذه الفئة الباغية من المشارقة، دعاة الكفر والضلالة، فقد اتصل بأمير المؤمنين قَطْعِي دعوةَ صاحبهم، وإبطالُ سنته ومجاهدة الشيعة، وعدائي لأهل بيته، واستبلاغي في كفاية أسبابه »[42].

وبلغ من تشجيع عبد الرحمن الناصر لقبائل البربر، أن حاولوا في مختلف المواقف إثبات ولائهم لبني أمية في الأندلس.

ويروي الأستاذ محمد عبد الله عنان[43] دليلاً على ذلك، عندما سار الملك أردونيو الثاني (Ordonio II) ملك نفارة (Navarra) في قواته المسيحية إلى غرب الأندلس [303هـ/ 915م] حتى وصلوا إلى نهر التَاجة (Tagus - Tajo) قام على إرشاده دليلان من البربر، وتذكر الرواية أنهما من بربر مصموده من البرانس، لكنهما أضلاّه في شِعَب الجبال، وأبعداه عن طريق القوات الأموية، حتى أُنهك الجيش المسيحي، وعندما أدرك أردونيو الثاني (Ordonio II) تلك الخدعة التي قام بها البربريان قام بإعدامهما.

وعندما عاود الخليفة الفاطمي، عبيد الله المهدي هجماته على المغرب الأقصى تصدى له البربر في إصرار سنة [347هـ/ 958م]، واستردوا من الفاطميين

41- ابن حيان: المقتبس، نشر شالميتا، ج5 ص 307

42- موسى بن أبي العافية بن تاسل بن أبي الضحاك بن عبدول، أمير مكناسة، ملك مدينة فاس في سنة 313هـ، وملك مدينة تازا، وتسول، وألكاي، ومدينة طنجة، وكثيراً من أعمال المغرب. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس، شركة النشر المغربية 1936، ج1 ص 121.

43- دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص 393

القلاع والحصون في نفس الوقت الذي قام به الزناتيون بقتال قبيلة صنهاجة البربرية الموالية لعبيد الله المهدي، والتي مات على أثرها أعظم قواد زناتة وملوكها، يعلي بن محمد اليفرني[44].

وقد عرض المقري[45] نتائج الوفاق السياسي الذي حدث بين الخلافة الأموية في الأندلس، وبين البربر في العدوة المغربية، والتي كان من أهمها، التوافد المستمر لقبائل ووفود البربر إلى الأندلس، تعبيراً عن تنفيذ الدور المنوط بهم لإنجاح السياسة الأموية في حماية بلاد المغرب.

كان من أهم هذه الوفود بنو خذر الزناتيون، وبنو أبي العافية، ونتيجة لتواصل الهجرات البربرية إلى الأندلس، أصبح هناك تمايزاً واضحاً بين بربر الأندلس القدامى، الذين استوطنوا وأقاموا منذ زمن الفتح، وهم الذين عُرفوا باسم الأندلسيين أو البلديين، أو أهل البلد، أما البربر الوافدون الجدد فوقع عَليهم اسم الطائفة البربرية، أو الطائفة المغربية، أو البرابر، أو البرابرة، حتى اعتبر الدكتور السيد عبد العزيز سالم[46] أن تلك الفترة التي زاد توافد البربر فيها على الأندلس، هي بداية لحركة (تبربر) Berberisatian، وأصبح البربر يمثلون أرستقراطية سيف، وليست أرستقراطية قبيلة أو عصبية.

ثالثاً: البربر في عصر الخليفة الحكم المستنصر

أنكرت بعض عناصر العرب والصقالبة استئثار البربر في أعمال الخلافة زمناً طويلاً، مما دفع الخليفة الحكم إلى التراجع عن تلك السياسة، فمنذ سنة [362هـ/ 973م] بدأ تحول السياسة الأموية مع مختلف القبائل البربرية[47].

ولكن سرعان ما أعادهم الخليفة المستنصر إلى مراكزهم في قيادة الدولة

44- مؤلف مجهول: مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، ص 4.

45- نفح الطيب، ج1 ص 361.

46- قرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الأندلس، ج1 ص 84.

- Mrs. Jonathan foster: History of the dominion of the Arapes in spain, T. II, 466

47- ابن حيان: المقتبس، نشر الحجي ص 185

حيث تزامن هذا الفكر الجديد لخلافته مع تعرض بلاد المغرب لحملات شرسة من جوهر الصقلي قائد الجيوش الفاطمية المظفرة، مما نتج عنه تقلص النفوذ الأموي، حتى اقتصر على سبتة فقط من بلاد المغرب' كما انهزمت قبائل زناتة أكبر القبائل البربرية المؤيدة للأمويين في العدوة المغربية أمام الصنهاجيين، الموالين لعبيد الله الشيعي الفاطمي، مما زاد من تهديد المصالح الأموية في كل أقاليم المغرب[48].

وأطبقت القوات الفاطمية التي قادها حميد بن يصال الكتامي في عشرين ألفاً حول موسى بن أبي العافية، الذي أعلن خلع طاعة الفاطميين، وذلك بمساعدة الأدارسة مما أدى إلى هزيمته، وامتلك الأدارسة ما كان بيده من ولايات، وقاموا بدعوة الشيعة الفاطمية بها[49].

دفعت هذه الأحداث التي أحدقت بالنفوذ الأموي في بلاد المغرب، الخليفة الحكم المستنصر إلى إعادة النظر في اعتماده على البربر' فأخذ يضم إلى جنده الكثير من العناصر البربرية، التي اعترف الخليفة الحكم ببأسها وقدرتها على حماية العدوة المغربية من النفوذ الفاطمي[50].

وفي فترة وجيزة، اجتمع في جيش الخلافة الأموية في الأندلس أعداد غفيرة من الجنود البربر، بعد أن لجأ الخليفة الحكم إلى استخدام الهبات والصلات والأموال في جذب البربر إلى الأندلس' وبوأهم بداره وأجزل لهم العطاء[51].

48- أيقن محمد بن خزر الزناتي بهزيمته أمام صنهاجة بعد قتال استمر يومين متتاليين، فذبح نفسه بعدما رأى موت الكثيرين من القادة الزناتيين أمام قائد صنهاجة بلقين بن زيري. نفس المصدر السابق ص 6.

49- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، حرره وعلق عليه: محمد الهاشمي الفيلالي (الجزء الأول)، شركة النصر المغربية سنة 1355هـ/1936م"، ج1 ص 125.

50- د. محمد رضا عبد العال: سياسة حكومة قرطبة تجاه ممالك الشمال وسقوط الأندلس، الطبعة الأولى، يناير 1999م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص 23.
Mrs. Jornathan Foster: History of the dominion of the Arapes in spain, T. II, P.475

51- ابن حيان: المقتبس، نشر الحجي ص 193.

منذ ذلك الوقت استعاد البربر مكانتهم في دولة الخليفة المستنصر، فأصبحوا أهم العناصر الأجنبية في جيش الخلافة، وتولّوا قيادة المقاومة ضد الخارجين في كل ولايات وكور العدوة المغربية لصالح النفوذ الأموي، خاصة وأن الصنهاجيين أخذوا يتوسعون في معظم أقاليم بلاد المغرب بقيادة زيري بن مناد الصنهاجي، لصالح معد بن إسماعيل الشيعي صاحب إفريقية، فتولى مقاومة الصنهاجيين بنو برزال، بمساعدة جعفر ويحيى ابني علي المعروف بابن الأندلسي، وهما من قبائل زناتة[52].

استطاع بنو برزال هزيمة الصنهاجيين، وقتل قائدهم زيري بن مناد الصنهاجي عن طريق بعض جنوده البربر، بعد تحالفهم مع الزناتيين وبني برزال أثناء المعركة[53]، وارتحل وجوه زناته مع يحيى بن علي وأخيه جعفر إلى الأندلس، وتقدموا برأس زيري بن مناد كبير صنهاجة إلى الخليفة الحكم، الذي أوسع لهم الهبات تكريماً لولائهم، وعادت زناتة الموالية للأمويين إلى زعامة بلاد المغرب[54].

52- ابن الأبّار: الحلة السيراء، ج1 ص 305. جعفر ويحي ابنا علي المعروف بالأندلس: جدهما الأكبر عبد الحميد الداخل إلى الأندلس من الشام، سكن إلبيرة Elvira قرب غرناطة Granada، ثم انتقل أحد أحفاده إلى بجانة بالجزائر، فمال إلى دعوة الفاطميين، وحين قتل زيري بن مناد الصنهاجي القائم بالدعوة الفاطمية في المغرب خاف جعفر فرحل مع أخيه يحيى، فاجتمعوا مع أهلهما إلى بني خذر، واتفقوا على قتال بني مناد الصنهاجيين، وتبنى جعفر ويحيى الدعوة لهذه الحرب. ابن الأبّار: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي، (الحلة السيراء) جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، الطبعة الأولى، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر 1963م، ج1 ص 305.

53- يذكر المؤلف المجهول: أن زيري بن مناد قائد صنهاجة سقط به فرسه أثناء حربه مع الزناتيين لصالح الخليفة الأموي المستنصر، فاجتمعت عليه زناته واجتزت رأسه وتتابعت هزائم صنهاجة بعدها. مفاخر البربر ص 7.

54- زيري بن مناد الصنهاجي: كان من زعماء البربر من قبيلة صنهاجة، وكانت هذه القبيلة عماد الدولة الفاطمية في الشمال الإفريقي، وكان زيرى القائم بالدعوة الفاطمية بين الصنهاجيين. ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ص 522. ويذكر د. العبادي، أن العناصر العربية اليمنية قامت بوظائف البحرية الأندلسية بشكل أساسي، وقد انضم إليهم البربر، وقاموا بنشاط واضح =

وعلى أثر هذه النجاحات البربرية العظيمة على الساحة المغربية، انضم الكثيرون من عناصر البربر إلى جيش الخلافة الأموية في الأندلس، كما دخلوا بأعداد كبيرة إلى صفوف البحرية الأندلسية[55].

بعد هذا الفشل الفاطمي أمام دفاع البربر عن النفوذ الأموي في بلاد المغرب ومقتل العديد من قوادهم في هذا الصراع، قرّر الفاطميون الفرار من المغرب إلى مصر، وأسسوا بها عاصمتهم الجديدة (القاهرة) سنة [359هـ/ 970م]، وذلك لمّا رأوا تأييد معظم القبائل البربرية الكبرى للأمويين، مثل زناتة، ومغراوة، ومكناسة،، وخطبوا للخليفة المستنصر الأموي على منابرهم، وزاحموا بها دعوة الشيعة[56].

قام الخليفة الحكم بمكاتبة الكثير من حكام الولايات والكور في عدوة المغرب، وكان أشهر هذه المكاتبات، مكاتبات عبد الكريم بن يحيى، صاحب عدوة الأندلسيين في فاس، الذي أقرّه الخليفة على أعماله[57]، ثم وفد إلى بلاط قرطبة الكثير من رجالات البربر أمثال: رشيق المعروف بالبرغواني، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن الشيخ، وعبد الرحمن بن أرمطيل، وهم من وفود كبراء البربر، ردهم المستنصر إلى الطاعة الأموية[58].

وقد رصد ابن حيان[59] أسماء القبائل والزعماء البربر، الذين وفدوا على بلاط الخليفة المستنصر بعدما أرسل لهم الهدايا مع عامله محمد بن عبد الله بن

=

في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 179.

55- ويذكر د. العبادي، أن العناصر العربية اليمنية قامت بوظائف البحرية الأندلسية بشكل أساسي، وقد انضم إليهم البربر، وقاموا بنشاط واضح في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص 179.

56- ابن حيان: المقتبس، نشر الحجي، ص 193. ابن خلدون: العبر، ج4 ص 146. الشيخ جمال الدين أبو الحسن الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق د. عصام هزيمة وآخرون، 1999م، ص33

57- نفس المصدر السابق، ص 27

58- د. محمد رضا عبد العال: سياسة حكومة قرطبة تجاه ممالك الشمال وسقوط الأندلس، ص 24

59- المقتبس، نشر الحجي، ص 193

أبي عامر، فكان من الذين حضروا إلى تجديد الولاء والبيعة للخليفة الحكم المستنصر، وارث بن سعادة، ومخلد بن مروة، وحسين بن خيران، ووركان بن عون، وإدريس بن حماد، وفيضان بن خليفة، وحنون بن عبد الله، فكلف الخليفة وزيره غالب بن عبد الرحمن بالقيام على أمرهم وإكرامهم.

وقد أمر المستنصر لكثير من وفود البربر بهدايا في حضرته، مثل أحمد بن عيسى شيخ بني محمد المعروف بحنُّون، وقد وصله بسبعة آلاف دينار من الصحاح، وسيف عربي بحلية كاملة، ووصل إبراهيم بن عيسى، وابن أبي حسن ابن إبراهيم بن عيسى، وخزر بن لقمان، وأيوب بن الحسن، وحجاج بن خلوف، وكلهم من وفود البربر المعلنة للطاعة الأموية[60].

وقد أكّد بنو خزر طاعتهم في ظل تتابع القبائل البربرية إلى الأندلس، فأرسلوا عبدون بن الخير بن خزر، ومسعود بن عطية بن عبد الله بن خزر، ومعاقل بن أبي خزرون بن أبي عبد العزيز بن خزر، وفدوا إلى مرسى إلمرية، فأرسل الخليفة المستنصر في استقبالهم الوزير أحمد بن عبد الملك صاحب المخزول[61].

استغل الخليفة المستنصر حضور الوفود البربرية إلى بلاط الخلافة، وعقد لرؤساء القبائل على أعمالهم بعدما قعد لاستقبالهم وسماع الطاعة منهم، وأخذ منهم المواثيق على ذلك، فعقد ليحيى بن فتوح على قبيلة أجاز، وإبراهيم بن عليّ على قبيلة نفيس، وخلوف بن عمار على قبيلة لهيصه، وابن جلاد الكتامي على قبيلة بجرمة، وخلاد بن سعيد على قبيلة مسالمة، ومهارش بن عمران على قبيلة مرهاجة، وعيسى بن يملول على قبيلة مغاور، وصنعان بن خليفة على قبيلة غمارة، ثم انصرف قادة وزعماء البربر إلى قبائلهم التي قلدهم المستنصر زعامتها[62].

60- المصدر السابق، ص 133.

61- ابن خلدون: العبر، ج4 ص 146.

62- ابن حيان: المقتبس، نشر الحجي ص 114، 115.

رابعاً: المهام السياسية والإدارية للبربر في عصر الخلافة الأموية في الأندلس

كان لعنصر البربر الكثير من المشاركات في الحياة السياسية داخل البلاط الأموي في الأندلس، بالرغم من حركات التمرد التي ظهرت منهم على فترات متباعدة والتي دفعت الخلفاء الأمويين إلى محاولات إقصائهم نسبيا عن بلاط الحكم والخلافة، الا ان قوتهم العسكرية وقدرتهم على قلب موازين استقرار البلاد مكنهم من التواجد على الساحة السياسية بقوة، فقد شاركوا في الكثير من المهام الرسمية للخلافة، مثل عقد بيعات التولية للوزراء أو القادة أو العمال أو في حفلات استقبال الرسل والوفود[63].

وقد ذكر المؤلف المجهول[64] بعض البيوتات البربرية التي كان لها دور عظيم في تشكيل الحياة السياسية في الأندلس منذ عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر، فذكر بني لقيط من قبائل صنهاجة، الذين نبغ منهم الفقهاء والكتَّاب والوزراء والأدباء، وبني دراج القسطلي، وبني عبد الوهاب، الذين كان لهم ثروة وجاه عظيم، واشتهر منهم الأدباء والقواد' وأشهرهم خطيب قرطبة، الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن عبد القدوس.

وقام الوزراء البربر بدور عظيم في الخلافة الأموية في الأندلس، بعدما التمس الخلفاء فيهم الفطنة وسياسة الدولة، أمثال: ثابت بن ورزيدان الأمير، وعبد الملك ابن سكن، وبدر بن ميمون بن علي[65].

كما نال البربر وظيفة الكتابة، وهي من أشرف وظائف الخلافة، فتولاها منهم إبراهيم بن العلاء، وتابعه في هذا المنصب جماعة كثيرة من البربر[66].

كما أخذ البربر الكثير من الوظائف الدينية، والتي احترمها الخلفاء والعامة

63- نفس المصدر السابق، ص 156.
64- مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال ص 78.
65- نفس المصدر السابق، ص 79.
66- نفس المصدر السابق، ص 79.

من الناس، مثل وظيفة قضاء الجماعة، التي تولاها من البربر في عصر الناصر أحمد بن بقى بن مخلد في سنة [314هـ/926م]، كما تولاها الوزير القاضي محمد بن بقى بن زرب سنة [367هـ/978م]، ثم تولاها محمد بن عبد الله بن يحيى سنة [389هـ/ 998م].

وكان من أبرز الشخصيات البربرية تأثيراً في سياسة خلفاء بني أمية في الأندلس القاضي منذر بن سعيد البَلّوطِي الوهّاصِي، الذي تولى منصب قاضي الجماعة في قرطبة، وكان مشاوراً للخليفة الناصر، ومشاركاً في كافة رسوم الدولة، وهو الوحيد من عمال الدولة الذي أنكر على الخليفة الناصر بناء مدينة الزهراء؛ لإسرافه وبذخه في بنائها[67].

ويذكر المؤلف المجهول[68] مجموعة من القبائل البربرية التابعة لقبيلة زناتة، التي أثَّرت في الحياة السياسية في زمن الخلافة الأموية في الأندلس، أمثال: بني الخروبي، وبني الليث، وبني يفرن، وبني برزال، وبني دمر، وبني خزر، الذين ينتمي إليهم محمد بن الخير بن خزر المغراوي، أكبر قادة البربر وزعيم زناتة، الذي شارك في توطيد حكم الأمويين في العدوة المغربية.

وقد حدّد المؤلف المجهول[69] الكثير من الوزراء البربر الذين أسهموا بدور عظيم إلى جانب الخلفاء الأمويين، أمثال: الوزير سليمان بن وانسوس، الذي ينتمي إلى قبيلة مكناسة، وكان أميراً على الثغر بوادي الحجارة Guadalajara في خلافة عبد الرحمن الناصر، والوزير ثابت بن عامر المديوني، الذي ينتمي إلى قبيلة مديونة[70] ومن قبيلة مغيلة الوزير أحمد بن محمد بن إلياس المغيلي، الذي تولّى حكم الولايات الجبلية، وكان جده إلياس، أحد أعلام البربر الداخلين إلى الأندلس، مع طارق بن زياد في أول الفتح ومن قبيلة ولهاصة، الوزير القاضي منذر بن سعيد البلوطي، الذي وصل إلى منصب قاضي قضاة الأندلس، وبني الخليع

67- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص 454.
68- مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، ص 79.
69- نفس المصدر السابق، ص 79.
70- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص 419.

بتاكرونا، وبني الزّجَّال بقرطبة، وقبيلة نفره، التي اشتهر منها الفقهاء والقضاة بقرطبة، وقبيلة بني غزلون، الذين كان منهم أمراء بشاطبة (Jativa)، وقبيلة بني نعمان وهم الرؤساء بشنت برية (Santaver)، وقبيلة هوَّارة، التي كان منها مسرور بن الأصبغ، من وجوه سرقسطة (Saragossa) وأميرها، وذكر من مصمودة سفيان بن عبد ربه المصمودي[71].

وقد قدم ابن حيان[72] مثالاً صادقاً على منزلة البربر السياسية داخل البلاط الأموي، فقد حازوا أدق المناصب الخلافية، وهي وظيفة الحجابة أو رئاسة الوزراء زمن الخليفة الحكم المستنصر، حيث تولاها الوزير جعفر بن عثمان المصحفي، فكان مخلصاً للخلافة، وقام على شئون الأمير هشام المؤيد ولي عهد الخليفة الحكم، وأصبح حاجباً له بعد وفاة أبيه المستنصر، فحكم الدولة فترة طويلة، بعد تنصيب ومبايعة الأمير الصغير هشام بالخلافة.

الخاتمة

من خلال مطالعة العديد من الدراسات الأندلسية، التي تحدثت عن تاريخ الإسلام في شبه الجزيرة الإيبرية، أو البعض الأخر الذي تخصص في دراسة عناصر المجتمع الأندلسي في عصوره المتعاقبة، منذ زمن الفتح الإسلامي، حتى خروج المسلمين من المماليك الإسلامية الأخيرة، بعد محاكم التفتيش المسيحية، يمكن استخلاص العديد من النتائج من هذا البحث فيما يلي:

لم يكن العنصر العربي هو العنصر الأوحد، في ترسيخ الاسلام في إسبانيا الإسلامية، بل كان البربر الشريك التاريخي في إكساب إسبانيا القوطية المسيحية، الصبغة الإسلامية الخالصة سياسيا وحضاريا.

ظلت عناصر السكان الأندلسية طوال زمن الفتح وعصر الولاة، لا يشغلهم سوى الفتوحات الإسلامية المتعاقبة؛ مما أدى الى اختفاء الصراعات السياسية بين عناصر السكان المختلفة الاعراق والأصول، إلى ما بعد زمن الفتوحات.

71- المقتبس: نشر الحجي ص 193.

72- نفس المصدر السابق، ص 193

ظهر البربر على مسرح الحياة السياسية في الأندلس، بدورهم الفاعل منذ الفتح مع القائد البربري طارق بن زياد، وازداد دورهم مع بداية الدولة الأموية؛ وذلك بقصد من مؤسسها عبد الرحمن الداخل؛ خوفا من الصراعات بين القبائل العربية وخطر ذلك على دولته الناشئة.

ظهرت الصراعات السياسية بين القبائل العربية على مراكز القوى في البلاد،

لا سيما أواخر عصر الإمارة عصر الأمير عبد الله بن محمد، حتى أوشك أن ينهي الحكم الإسلامي لإسبانيا مبكرا؛ مما دفع العديد من حكام الأندلس إلى خلق نوع من التوازن بين القوى السياسية، يمنع العرب من الاستئثار بسياسة البلاد.

اعتبر الحكام الأمويون في الأندلس البربر العنصر المعادل للعنصر العربي، فأكثروا من جلبهم من الساحل الإفريقي المقابل لبلاد الأندلس واخذوا يندمجون في الحياة الأندلسية إلى جانب العرب.

قام البربر بدور فاعل في قيادة الدولة الأموية في الأندلس بكافة مجالاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية.

كان للبربر تطلعاتهم السياسية، بعد أن أصبحوا في مقدمة عناصر سكان المجتمع الأندلسي، في مرحلة ما بعد عبد الرحمن الناصر، انتهاء بالدولة العامرية، التي اعتمدت على الكثيرين من قيادات البربر في كافة مجالات الدولة.

انتهت الدولة الأموية في الأندلس بعد عصر الفتنة الأندلسية، بداية بالخليفة محمد المهدي، وقد لعب البربر دورا أساسيا في الصراعات السياسية، التي أدت في النهاية إلى سقوط الخلافة الأموية في إسبانيا الإسلامية 422هـ/1031م، وتفرقت إلى ممالك مختلفة، استقر البربر فيها بحكم ولايات غرب الأندلس، ومع انتهاء الحكم الإسلامي لتلك المنطقة ذاب البربر في المجتمع الأندلسي، وعاد البعض منهم الى الساحل الإفريقي، حيث الأصل الأول لبربر الأندلس.